لبيك يا أقصى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

تحتل مدينة القدس مكانة مميزة في نفوس العرب والمسلمين، فهي المدينة التي تهفو إليها نفوس المسلمين، وتشدُّ إليها الرحال من كل أنحاء المعمورة، ففيها المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين، وفيها التاريخ الإسلامي العريق الذي يزرع نفسه بقوة في كل شارع من شوارع القدس، وكل حجر من حجارتها المقدسة، وكل أثر من آثارها.

ولا تخفى مكانة فلسطين في الكتاب والسنة على كل من له إلمام بالعلوم الدينية والدراسات الإسلامية، فيعرف حتماً – من غير شك ولا ريب – أن فلسطين جزء من بلاد الإسلام، وفيها المسجد الأقصى المبارك الذي شرَّفه الله تعالى بالتقديس، وجمع فيه الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج تكريماً لنبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى: {**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**}[1]، فالمسجد الأقصى مبارك في ذاته، كما أن الأرض التي حوله مباركة.

---

(١) سورة الإسراء ، الآية(١)

obeikandl.com

وقال أيضاً: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ}[١]، قال العوفي عن ابن عباس: القرى التي باركنا فيها هي بيت المقدس[٢].

وقال تعالى: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}[٣].

ذكر ابن جرير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الأرض المباركة هي بيت المقدس، فقد بعث الله أكثر الأنبياء منها، وهي كثيرة الخصب والنمو عذبة الماء[٤]، وورد في تفسير ابن كثير عن أُبيّ بن كعب، قال: الأرض التي بارك الله فيها للعالمين هي بلاد الشام، وما نقص من الأرض زيد في بلاد الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر[٥].

إن للمسجد الأقصى مكانة عظيمة في قلوب المسلمين، وتعميقاً لقيمته في قلوبهم، فقد ضاعف الله فيه أجر الصلاة، فقد جاء في الحديث: (الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة)[٦].

كما أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ذي الأصابع، قال: قلت يا رسول الله، إن ابتلينا بعدك بالبقاء، أين تأمرنا؟ قال: (عليك ببيت

---

(١) سورة سبأ ، الآية(١٨)

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٧٠٤ ط دار الفيحاء بدمشق الطبعة الأولى ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

(٣) سورة الأنبياء ، الآية(٧١)

(٤) تفسير الطبري ٣٠٥/١١ ط دار الكتب العلمية - بيروت

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٤٩/٣

(٦) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٥٠/٢

المقدس فلعله أن ينشأ لك ذرية، يغدون إلى ذلك المسجد ويرحون)[1].

وفي المسجد الأقصى المبارك صلى رسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بالأنبياء إماماً، كما صلى في ساحاته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وخالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم من مئات الصحابة.

وفي جنبات الأقصى رفع الصحابي الجليل بلال بن رباح – رضي الله عنه– الأذان بصوته الندي، وفي ظلِّ هذه البيت دفن العديد من الصحابة الكرام، وعلى رأسهم عبادة بن الصامت أول قاضٍ للإسلام في بيت المقدس، وما من شبر من أرضه إلا وشهد ملحمة أو بطولة، تحكى لنا مجداً من أمجاد المسلمين.

إنه الأقصى أسمى من أن يتأثر بتصرفات حاقدة، وبتصريحات باطلة.

لقد كانت مدينة القدس سبباً في وحدة المسلمين أيام الصليبيين، وهي التي ستوحد العرب والمسلمين إن شاء الله.

إنه المسجد الأقصى المبارك، أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين، بالنسبة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

إن ارتباط المسلمين بالمسجد الأقصى ارتباط عقدي وليس ارتباطاً انفعالياً عابراً، ولا موسمياً مؤقتاً، حيث إنّ حادثة الإسراء من المعجزات، والمعجزات جزء من العقيدة الإسلامية، وكما نشاهد فإن المسجد الأقصى المبارك يتعرض في هذه الأيام لمؤامرات عديدة، تسببت في تقويض بنيانه وزعزعة أركانه،

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٦٧/٤

جراء الحفريات الإسرائيلية المستمرة للأنفاق أسفل منه، وكذلك محاولات السلطات الإسرائيلية إقامة ما يُسمّى بالهيكل المزعوم بدلاً منه.

إن ما تقوم به الجرافات الإسرائيلية في هذه الأيام، من إزالة التلة الترابية وكذلك الجسر المؤدي إلى باب المغاربة، وهدم الغرفتين أسفله التي مضت قرون طويلة على إقامتهما، ليس مجرد اعتداء على جسر وغرفتين، بل هو اعتداء مباشر على جزء أصيل من المسجد الأقصى، قبلة المسلمين، ومسرى نبيهم، وأرض الإسراء والمعراج، كما أنه اعتداء على تاريخ وحضارة هذه المدينة المقدسة.

ويذكر أن التلة الترابية وما تحويه من الطريق المؤدية إلى باب المغاربة هو وقف إسلامي خالص، يحوي آثاراً وعقارات إسلامية من العصور الإسلامية المتعددة، حيث إن إزالة التلة الترابية والطريق المؤدية إلى باب المغاربة هو هدم لجزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى المبارك.

إن تنفيذ مثل هذا المشروع سيكون له انعكاسات سلبية وخطيرة، حيث إن تنفيذ مثل هذه الخطوة ستكرس الاحتلال الإسرائيلي للمسجد الأقصى المبارك والقدس الشريف.

(رسائل متعددة)

وبهذه المناسبة فإننا نوجه رسائل متعددة، أستهلها برسالة إلى الشعب الفلسطيني أقول فيها: لا بد لشعبنا الفلسطيني أن يشد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك، ولا ننسى أن نرسل بالتحية لأهل القدس، وحراس المسجد الأقصى المبارك، وفلسطينيي الداخل، المرابطين في المسجد الأقصى المبارك والمدافعين عنه.

كما نوجه رسالة إلى الشعوب العربية والإسلامية، ونقول لهم: لا بد من الخروج إلى الشوارع في مظاهرات عارمة، كي تكون رسالة واضحة للجميع، بأن العرب والمسلمين لن يسكتوا على ما يحدث اليوم من هدم لأسوار المسجد الأقصى المبارك، لأنه جزء من عقيدة الأمة.

كما نطالب الحكام العرب والمسلمين بالقيام بواجبهم للذود عن المسجد الأقصى المبارك، ونقول: ها هو المسجد الأقصى ينادي قادة الأمة كما ناشد صلاح الدين، ونطالبهم بضرورة دعم المقدسيين مواطنين، وتجاراً، ومزارعين بصفة عامة، وسدنة الأقصى بصفة خاصة، كي يبقوا مرابطين محافظين على القدس والمسجد الأقصى المبارك، وكذلك دعم المدارس، والجامعات، والمستشفيات، ومشاريع الإسكان.

كما وندعو منظمة المؤتمر الإسلامي إلى عقد اجتماع عاجل لقادة الأمتين العربية والإسلامية ليتدارسوا هذا الأمر، فأي موضوع أهم وأجّل من موضوع المسجد الأقصى مسرى رسول الله- صلى الله عليه وسلم-؟!

(رسالة إلى المتحاورين بمكة المكرمة)

إننا نخاطب المجتمعين في مكة المكرمة، ونقول لهم: إن هدفكم واحد وهو إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف، فلا قيمة للقدس بدون الأقصى، ولا قيمة لفلسطين بدون القدس؛ ففلسطين لم تأخذ مكانتها إلا من وجود أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين، فأجمعوا هدفكم، ووحدوا صفوفكم، واجمعوا شملكم إن شاء الله تعالى.

وحيث إنكم بجوار البيت العتيق تذكّروا نبيكم عليه السلام، وهو يطوف بالكعبة، ويخاطبها قائلاً: (ما أطيبك، وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك،

والذي نفس محمد بيده! لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك: ماله ودمه)[1]، ونطالبهم بألا يرجعوا إلينا إلا وهم متفقون متحدون متآلفون إن شاء الله تعالى.

حماك الله يا أقصى

حماك الله يا بيت المقدس

حماك الله يا شعبنا الفلسطيني

وإن شاء الله نصلي معاً وسوياً في رحاب المسجد الأقصى المبارك

وقد تحرر من أيدي المحتلين، وأقيمت دولتنا الفلسطينية المستقلة

وعاصمتها القدس الشريف إن شاء الله

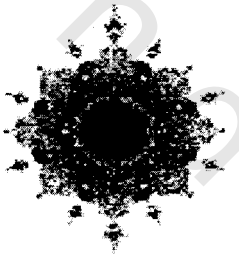

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن ١٢٩٧/٢

obeikandl.com

الوحدة ... فريضة شرعية وضرورة وطنية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

لقد شعر الشعب الفلسطيني بالغبطة والسرور، بعد توقيع اتفاق مكة المكرمة بجوار البيت العتيق، بين أكبر فصيلين في الساحة الفلسطينية.

فهذا إنجاز كبير، حقن الدماء الفلسطينية، وطوى صفحة أليمة، كما نَصَّ الاتفاق على تشكيل حكومة الوحدة الوطنية لأول مرة في التاريخ الفلسطيني المعاصر، وإعادة ترتيب البيت الفلسطيني الداخلي.

ومن فضل الله أن هذا الاتفاق قد عقد بجوار بيت الله الحرام، وهذا تكريس للعلاقة الوثيقة بين المسجد الحرام بمكة المكرمة وشقيقه المسجد الأقصى بالقدس.

إن هذا الاتفاق المبارك يمثل مكسباً كبيراً ليس للشعب العربي الفلسطيني فحسب، بل لكل أبناء الأمة العربية والإسلامية، خاصة في ظل الظروف الراهنة التي تواجه فيه القضية الفلسطينية والأمة الكثير من المخاطر والتحديات.

إننا إذ نهنئ شعبنا الفلسطيني بهذا الإنجاز التاريخي، والذي هو انتصار لدماء الشهداء، واستجابة لنداءات الأسرى، فإننا نناشد الجميع العمل على تطبيق هذا الاتفاق، والالتزام بما اتفق عليه، والعمل من أجل حماية هذا الاتفاق

وتطويره، والذي من شأنه أن يُخرج الشعب الفلسطيني من الظروف الصعبة التي يعيشها، ومن حالة الاحتقان الداخلي، وما صاحبها من اقتتال، إلى جو الألفة والمحبة والأخوة .

إن وحدة المسلمين وتضامنهم عمل يمثل قطب الرحى، ويمثل طوق النجاة لسفينة المسلمين، فالمسلمون لن ترتفع لهم راية، ولن يستقيم لهم أمر، ما لم يكونوا متضامنين مجتمعين على كلمة واحدة، فقد جاء الرسول صلى الله عليه وسلم على أمة ممزقة مبعثرة فجمعها ووحد كلمتها، ثم جمع العرب على اختلاف أوطانهم، وجعلهم أمة واحدة بعد أن كانت الحروب مستعرة بينهم، وصهرهم جميعاً في بوتقة الإسلام، وجمع بين أبي بكر القرشي الأبيض، وبلال الحبشي الأسود، وصهيب الرومي وسلمان الفارسي، جعلهم إخوة متحابين بعد أن كانوا أعداء متخاصمين ، كما ورد في قوله تعالى: {**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**}[1]، كما وأزال ما بين الأوس والخزرج من خلاف، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وأصبح المسلمون بفضل الله كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، وقد بيَّن عليه الصلاة والسلام ذلك، بقوله: "المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم"[2].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية(١٣٠)

(٢) أخرجه النسائي في سننه في كتاب القسامة ٢٤/٨

والله سبحانه وتعالى يرشد إلى ذلك بقوله: **{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}**[١]، وفي آية أخرى يقول: **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}** [٢].

ومن أجل هذه الوحدة شرعت صلاة الجماعة في المسجد في أوقاتها المعلومة، كما شرعت صلاة الجمعة وصلاة العيدين، كما شرع الحج وهو المؤتمر العالمي الذي يضم المسلمين، الذين وفدوا لأداء مناسكه والالتقاء في مكان واحد، كل هذا لتقوية الروابط الأخوية بين جماعة المسلمين الذين وحدهم الإسلام، وربط بينهم بوشائج قوية من عند الله العليم الخبير.

إن أمتنا الإسلامية كانت خير الأمم، لأنها كانت أمة متآخية كل التآخي، متعاونة على البر والتقوى، متحدة في أهدافها وغاياتها، معتصمة بحبل ربها، قلوبها متآلفة، وصدورها متصافية، وكلمتها مجتمعة، التراحم قائم والتسامح موجود، وحب الخير يملأ كل قلب ونفس.

وبذلك تبوأت أمتنا أعلى مراتب العز والشرف، وكانت لها السيادة والقيادة على شعوب الأرض قاطبة، فأقامت موازين القسط والعدالة والمساواة بين الناس، ونشرت في ربوع الدنيا رسالة الإسلام، ومبادئ القرآن.

إن عدو الله-إبليس- لا يرضى للإنسان أن يحب أخاه المسلم، فيعمل جاهداً من أجل إفساد العلاقات الأخوية كما قال عز وجل: **{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}**[٣].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (٥٢)

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٩٢)

(٣) سورة فاطر، الآية (٦)

إن المؤمنين يعون هذه المهمة السيئة للشيطان فلا يطيعونه، وإذا ما غفلوا للحظة انتبهوا، وبسرعة، وعادوا إلى جادة الصواب.

لقد حصل مرة بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن نشأت بين بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- مشادة كلامية، سمع منها ارتفاع الصوت، فأخرجت أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- يدها الطاهرة من الحجرة، وأخذت تقول لهم: إن نبيكم يكره التفرّق، ثم تلت عليهم قوله تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ}**[1]، وتعني أن الخصام أساس الفرقة، والفرقة أساس البلاء، ولله در القائل:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرقــوا أفرادا

تأبى العصي إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحادا

إن أعداء الأمة لن يسمحوا لها بأن تبقى صفاً واحداً، لأنهم يعلمون بأنَّ سرَّ قوة الأمة في وحدتها، وأن ضعفها في فرقتها وتخاذلها، فهم يعملون على نشر الحقد والخلاف بينهم، كما حدث من (شاس بن قيس) اليهودي الذي غاظه أن يرى الأوس والخزرج إخوة متحابين، هؤلاء الذين طالما تحاربوا، وسفكت منهم الدماء، وقامت بينهم المعارك، أن يراهم مجتمعين على عقيدة واحدة، فجلس بينهم بخبث ودهاء، يذكرهم بأيام الجاهلية، وينشد بعض الأشعار التي قالها الأوس يوم انتصارهم، فيرد عليهم الخزرج: بأننا انتصرنا يوم كذا، وقال شاعرنا كذا، وما زال يذكي هذه النار، حتى تأججت، ونادى الرجال من الأوس: يا للسلاح، والرجال من الخزرج: يا للسلاح، يا للأوس، يا للخزرج،

---

(١) سورة الأنعام ، الآية(١٥٩)

وسمع النبي – صلى الله عليه وسلم– بذلك، فأقبل عليهم يقول لهم: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!" وتلا عليهم قوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**}[1] – أي بعد وحدتكم متفرقين، سمَّى الله الوحدة إيماناً والتفرق كفراً – {**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ**}[2]، فندموا واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح.

كما أن التكاليف الشرعية جميعها تشتمل على روح المحبة والوحدة والتضامن:

فمثلاً الصلاة: في وقت واحد حيث جعل الله للصلاة ميقاتاً محدداً، فيه يدخل أهل الحي مسجدهم وينتظمون في صفوف متراصة، لا يتقدم أحد على الآخر، كما قال –صلى الله عليه وسلم–: "أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار" ؟!![3].

ولننظر أخي إلى دول أوروبا من حولنا، فعقائدها متباينة، ولغاتها متعددة، وأصولها مختلفة، ومع ذلك نراهم في حلف عسكري واحد، وسوق اقتصادية واحدة، وعملة واحدة هي (اليورو)، وبتأشيرة واحدة تدخل جميع الدول الأوروبية، فلماذا نرى المسلمين الذين أكرمهم الله بنبيٍّ واحد، ودين واحد، وكتاب واحد، وقبلة واحدة، لماذا لا يجتمعون على قلب رجل واحد ؟!!

---

(١) سورة آل عمران ، الآية(١٠٠)

(٢) سورة آل عمران ، الآية(١٠١)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان ١٨٢/٢

إنَّ سرَّ قوة شعبنا في وحدته، وإن ضعفنا في فرقتنا وتخاذلنا، فعلينا أن نجمع شملنا، وأن نوحِّد كلمتنا، وأن نرصَّ صفوفنا خصوصاً في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ شعبنا، فلننظر إلى ما يتعرض إليه شعبنا، ومقدساتنا عامة والمسجد الأقصى خاصة، صباح مساء على أيدي المحتلين، وما يحدث لأبناء شعبنا الفلسطيني على أرض العراق من قتل وخطف وغير ذلك.

فالواجب على أبناء شعبنا أن يكونوا إخوة متحابين، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، كما قال العلماء: (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه)، وإن الواجب على الجميع أن يتخلقوا بالأخلاق القرآنية.

ففي ظل التعاليم القرآنية والسنة النبوية الشريفة عاشت البشرية حياة الخير والسعادة: **{ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى}**(١).

نسأل الله العلي القدير أن يكون هذا الاتفاق فاتحة خير على شعبنا الفلسطيني في كافة أماكن تواجده، وأن تنقشع الغمة التي خيمت على بلادنا في الأيام الماضية، وأن يسود الحب والوئام والأخوة بين أبناء شعبنا الفلسطيني المرابط، ليتسنى لنا جميعاً أن نتصدى للهجمة الإجرامية على المسجد الأقصى المبارك، قبلة المسلمين الأولى ومسرى نبيهم محمد – صلى الله عليه وسلم –، ولنعمل معاً وسوياً على إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف إن شاء الله، وخروج الأسرى والمعتقلين من سجون الاحتلال، وعودة اللاجئين الفلسطينيين إن شاء الله ... اللهم آمين يا رب العالمين.

---

(١) سورة طه ، الآية(١٢٣)

المدرسة الأفضلية... ووقف المغاربة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

تتعرض مدينة القدس بصفة عامة، والبلدة القديمة والمسجد الأقصى المبارك بصفة خاصة، إلى سلسلة من الأعمال الإجرامية لتهويد هذه المدينة المقدسة، فبعد أن تمت محاصرتها بجدار الفصل العنصري، وفصلها عن جسدها وعمقها عن طريق المستوطنات المحيطة بها، بدأ الإسرائيليون يركزون أعمالهم للسيطرة على البلدة القديمة ودرتها المسجد الأقصى المبارك ، فقاموا بالسيطرة على باب المغاربة بعد حرب سنة ١٩٦٧م مباشرة، ثم قاموا بعد ذلك بأيام بهدم حارة المغاربة وإزالتها عن الوجود، وطردوا مئات الأسر العربية، كما قاموا بعد ذلك بإحراق المسجد الأقصى المبارك، وبارتكاب مذبحة الأقصى الشهيرة، وبحرق باب الغوانمة، وبحادثة النفق سنة ١٩٩٦م، وزيارة شارون للأقصى والتي كانت سبباً مباشراً لاندلاع انتفاضة الأقصى المباركة استنكاراً لهذه الزيارة الإجرامية.

وقد شهدت الأيام الماضية أعمال تجريف إسرائيلية لهدم الممر والجسر الموصل لباب المغاربة، وإزالة التلة الترابية، وهدم غرفتين مضت قرون طويلة على إنشائهما، إنّها تتحدث عن التاريخ والحضارة والأصالة، وهذا

العمل يمس بجزء أصيل من المسجد الأقصى المبارك، لأن حائط البراق جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى المبارك، والذي تبلغ مساحته مائة وأربعة وأربعين دونما، وقبل أيام تم كشف النقاب عن اكتشاف بقايا غرفة صلاة إسلامية قديمة في التلة الترابية في باب المغاربة، اكتشفت في ٢٠٠٤م عندما انهار جزء من التلة في ساحة حائط البراق، وبقي الموضوع سرياً حتى الآن لدى المسؤولين الإسرائيليين، والحديث يجري عن مصلى هو جزء من مدرسة لتعليم الدين الإسلامي، عملت من فترة صلاح الدين الأيوبي- الفترة الأيوبية- في القرن الحادي عشر قرب باب المغاربة.

إن كل الدراسات تشير إلى أن الغرفة التي كان فيها محراب تعلوها قبة، هي من المدرسة الأفضلية التي بناها الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي، الذي كان يشغل منصب حاكم القدس، وتولى الحكم بعد أبيه عن ولاية الشام.

إن وقف الأراضي والمساكن المحيطة بموضع البراق الشريف، على طائفة المغاربة، كان يهدف إلى مساعدة المغاربة من جهة وإلى المحافظة على منطقة البراق الشريف لأهميتها الدينية وارتباطها بإسراء النبي- صلى الله عليه وسلم - من جهة أخرى .

الوقف في حارة المغاربة

عند دراستنا لكتب التاريخ، ورجوعنا للسجلات الشرعية، نتعرف على أوقاف حارة المغاربة في هذه المدينة العزيزة، التي شهدت اجتماع الأنبياء والمرسلين جميعهم في ليلة الإسراء والمعراج، حيث صلى بهم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - إماماً.

فقد كان المغاربة يزورون بيت المقدس منذ القرون الأولى للهجرة، وهم

في طريقهم لأداء فريضة الحج إلى البيت الحرام أو بعد عودتهم من أدائها، وكان قسم منهم يقيمون في بيت المقدس تبركا بالإقامة بجوار المسجد الأقصى، وتلقياً للعلم فيه وللتدريس فيه، ومن أمثلة من عرفنا منهم في القرن الخامس الهجري، الإمام محمد بن الوليد الطرطوشي تلميذ ابن حزم والقاضي أبو بكر بن العربي.

وتكاثر المغاربة في القدس مع الوقت وكان لا بد من إنشاء حي خاص بهم،وقد أفضت إلى ذلك التطورات التالية: في أعقاب معركة حطين انقضت أمم الفرنجة من جديد على بلاد الشام في حملتها الثالثة، فبعث السلطان صلاح الدين إلى السلطان يعقوب المنصور سلطان المغرب يطلب إعانته بالأساطيل لمنازلة الأساطيل الصليبية، وقد جهز سلطان المغرب بناء على ذلك أسطولاً كبيراً لنجدة مسلمي المشرق، ولما حقق صلاح الدين آماله في إبعاد الخطر عن بيت المقدس بقي بعض الجنود المغاربة في الشرق، واتجه قسم منهم إلى بيت المقدس، وفضلا عن ذلك كان هناك كثير من الجنود المغاربة يعملون في الجيش المصري زمن الفاطميين، وعملوا بعد ذلك في جيش صلاح الدين، ووفد قسم منهم إلى القدس، ولما تكاثر عدد المغاربة إلى هذا الحد عمد الملك الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين إلى وقف الأراضي والمساكن المحيطة بموضع البراق الشريف على طائفة المغاربة على اختلاف أجناسهم، ذكورهم وإناثهم، وكان ذلك حين سلطنته على دمشق (٥٨٩-٥٩٢ هـ) ،وكانت القدس تابعة له، وكان الملك الأفضل يهدف إلى مساعدة المغاربة من جهة، وإلى إعمار هذه المنطقة للمحافظة على منطقة البراق الشريف من جهة أخرى.

ومعروف أن صلاح الدين قد أسكن قبائل عربية عدة في القدس بعد فتحها

لإعمار المدينة والدفاع عنها، ومنذ ذلك الحين، أي منذ أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أخذ الحي يدعى بحارة المغاربة.

وقد وجدنا في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس سجلاً يتحدث عن أشهر وقفيات المغاربة بمدينة القدس، وقد أعده العالمان الفاضلان الشيخ/ محمد أفندي بن محمد بن حميد التونسي، والشيخ/ محمد أفندي المهدي بن المهدي الجواني الجبلي سنة ١٩٢٣هـ، وأودعاه في هذه المحكمة، وأودعا نسخة أخرى عند متولي وقف المغاربة في القدس الشريف.

ولكن حادث الاعتداء على المحكمة الشرعية بعد عام ١٩٦٧م من قبل قوات الاحتلال، وهدم حارة المغاربة في العام نفسه كانا سبباً في فقد النسختين، ولحسن الحظ كان المرحوم الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس الشريف يحتفظ بصورة عن هذا السجل، وللشيخ المرحوم الثواب والمغفرة، وفي السنوات الأخيرة تم العثور على النسخة المفقودة التي كانت أصلاً موجودة في المحكمة الشرعية، وسنتعرض لأشهر هذه الوقفيات ومنها:

وقفية الملك الأفضل

عند دراستنا للسجلات فإننا نجد أن أقدم وقفية للمغاربة في مدينة القدس، هي وقفية الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وعليٌّ هذا هو الابن البكر للقائد صلاح الدين الأيوبي، حيث وقف للمغاربة المجاورين في القدس حارة لهم سنة ٥٨٨هـ وفق ١١٩٢م، وهي ما يحيط ويتصل بموضع البراق الشريف من أراضٍ وغيرها، على طائفة المغاربة على اختلاف أجناسهم، كما أقام لهم مدرسة عرفت باسمه المدرسة الأفضلية، (نسبة إليه) في حي المغاربة، ووقفها على فقهاء المالكية، وحولت إلى سكن

للمغاربة الفقراء في أواخر الحكم العثماني، وقد دمرها المحتلون بعد سنة ١٩٦٧م. وقد سجلت هذه الوقفية في المحكمة الشرعية بالقدس بعد وفاة الموقف، وذلك في الرابع والعشرين من شهر رجب سنة ٦٦٦هـ وفق ١٢٦٧م، كما أعيد تسجيلها بمحكمة القدس الشرعية في ٢٦/ شعبان/١٠٠٤هـ وفق ١٥٩٦/٤/٢٥م.

لقد هبَّ الشعب الفلسطيني للدفاع عن المسجد الأقصى المبارك، حيث شرَّفهم الله بأن يكونوا رأس الحربة في الذود عن أقدس مقدسات المسلمين في فلسطين.

فقامت سلطات الاحتلال بمنع الفلسطينيين – وخاصة سكان مدينة القدس، وأهلنا داخل الخط الأخضر – من الوصول إلى المسجد الأقصى المبارك لتكتحل عيونهم بالصلاة فيه، حيث بلغ عدد المصلين في الجمعة الماضية ما يقرب من ثلاثة آلاف مصلٍّ، مع العلم بأن عدد جنود الاحتلال زاد عن عدد المصلين. لقد قامت الدنيا ولم تقعد عندما هُدم معبد بوذا، وعقدت الاجتماعات على أعلى المستويات، ومجلس الأمن، فأين هذه المؤسسات اليوم مما يحدث للأقصى الأسير، من محاولات لهدمه، وتصديع بنيانه، ومنع أهله من الوصول إليه؟!

أين هي حرية العبادة؟! وأين أدعياء حضارة القرن الحادي والعشرين؟!

فمن جوار المسجد الأقصى المبارك نوجه نداء إلى المليار ونصف المليار مسلم باسم القدس والأقصى الأسير، وأهله المحاصرين، ومؤسساته التي تحتاج إلى العون والمساعدة، وتجاره الذين يحتاجون إلى من يقف معهم ويدعم صمودهم، يخاطبهم الأقصى كما خاطب صلاح الدين:

يـــا أيهـــا الملـــك الـــذي لمعـــالم الطغيـــان نكّـــس
جـــاءت إليـــك ظلامـــة تسعى مـــن البيـــت المقـــدّس
كـــل المســـاجد طهـــرت وأنـــا علـــى شـــرفي مـــدنّس

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

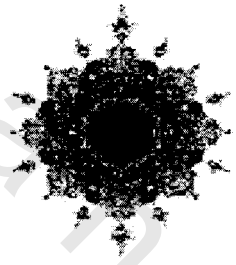

obeikandl.com

شهر صفر بين التفاؤل والتشاؤم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

تعودت أسماعنا سماع من يتشاءم من شهر صفر، وتنقبض صدورهم منه كلما جاء، وهذا بقية من سنن الجاهلية الباقية في أفئدة المسلمين، عمل على بقائها وترسيخها الجهل بالإسلام ومحاكاة غير المسلمين، ممن يتطيرون من بعض الأشخاص، أو من بعض الأيام والشهور، أو من مواقع النجوم أو غير ذلك، وهؤلاء في الحقيقة إما غير مؤمنين بالله أصلاً، وإما في عقائدهم خلط ووهم كثير.

وسبب تشاؤمهم منه أنه كان في الجاهلية يأتي في أعقاب الأشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، فإذا هل هلال صفر انقضّت القبائل على بعضها فيكثر القتلى والسبايا، ويصبح الناس في ذعر لا نظير له، فأبطل الإسلام ذلك، وما زالت رواسب الجاهلية في هذا إلى يومنا، فترى كثيرا من حمقى الناس يحجمون عن إنجاز أمورهم في شهر صفر فلا يتزوجون، ولا يبنون ولا يبرمون أمراً مهماً، وكثيراً ما ساعدهم على هذا المعتقد الفاسد أحاديث موضوعة وضعها الأفّاكون، منها ما روي كذباً وافتراء مثل: (بشروني عن أمتي بعد صفر)، وكان العرب قبل الإسلام إذا أراد أحدهم أمراً ذهب إلى وكر

الطائر يستنفره للطير ويزجره، فإذا طار عن يمينه تفاءل واستبشر وذهب متيمنا، وإذا طار عن يساره تشاءم ونكص حزينا، فنهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن إزعاج الطيور، أما التفاؤل والاستبشار فهو مشجع على العمل، محرك للعزائم، باعث على النشاط والإقدام، يقوي الأمل ويزيد الرجاء.

المتفائل لا يصده خوف طائر، ولا يرده نعيق الغربان وصراخ الحيوان، بل هو يثق بربه فيمضي لا يخشى إلا الله، فالتفاؤل من وسائل الفوز، والتطيُّر من أسباب الحرمان، ومنذ أن أشرقت شمس الإيمان على شبه الجزيرة العربية منذ خمسة عشر قرناً من الزمان، والإسلام يدعو الناس إلى التمسُّك بالعقيدة السليمة المستقيمة، وأن يلتزموا بالتوحيد الذي جاءت به رسل الله وأنزله في كتابه، كما جاء ليحرر العقول من أوهام الماضي، ولتطهيرها من المعتقدات الزائفة، كيف يرضى المسلم أن يثلم في عقيدته؟! والعقيدة هي الجواز لدار السلام، وهي صمام الأمان عندما تدلهمُّ الفتن، ويختلط الحق بالباطل.

نماذج من التفاؤل النبوي

إن القنوط واليأس أمر يفتك بالأمم، من هنا حارب الإسلام ذلك وأوجد البديل، فقد حارب اليأس وأوجد الأمل، وحارب التشاؤم وأوجد التفاؤل.

وكان – صلى الله عليه وسلم – يوجه أصحابه قائلاً: (يسِّروا ولا تعسِّروا، و بشِّروا ولا تنفِّروا)[1].

ونحن هنا نذكر بعض الأمثلة على تفاؤله – صلى الله عليه وسلم – رغم الظروف الصعبة والقاسية:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب ما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يتخولنا بالموعظة ١٦٣/١

الهجرة النبوية

المؤمن دائماً على قناعة بأن الليل مهما طال فلا بدَّ من بزوغ الفجر، والأمل هو شعار المؤمن في حياته، فلا بدَّ من الأمل والتفاؤل دائماً، وهذا درس نتعلمه من هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم – فحينما هاجر عليه الصلاة والسلام وخرج من بلده مع صاحبه أبي بكر، تبعهما أحد فرسان العرب الطامعين في الجائزة، التي رصدتها قريش لمن يأتي بمحمد وصاحبه حياً أو ميتاً، وهي مائة ناقة، فصمم (سراقة بن مالك) على الفوز بها، فركب فرسه، وأخذ سلاحه ورمحه، وأسرع حتى أدرك النبي وصاحبه أبا بكر، فعثرت قدم فرسه مرة ومرة ومرة، ثم غاصت أقدام الفرس في الأرض.

ثم قال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: "عد يا سراقة وإنّني أعدك بسواري كسرى"، قال له: كسرى بن هرمز؟! قال: "نعم كسرى بن هرمز".

سمع الرجل هذا وهو غير مصدق أنَّ هذا المطارد المهاجر يطمع في أن يرث مملكة كسرى وكنوزه.

فأخذ هذا الكلام، ودخل بعد ذلك في الإسلام.

حتى كان عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وقد فتحت مملكة كسرى وفتح إيوان كسرى في المدائن، وجاءت كنوز كسرى، ومنها سواراه فتذكر عمر بن الخطاب بشرى النبي – صلى الله عليه وسلم – لسراقة، فنادى في الناس: أين سراقة بن مالك؟ فجاء من وسط الجماهير وهو يقول: ها أنا يا أمير المؤمنين، قال: أتذكر يوم قال لك النبي – صلى الله عليه وسلم – كذا وكذا ؟ قال: نعم أذكره ولا أنساه ، فقال له : تعال ألبسك سواري كسرى، وألبسه السوارين، وقال له: الحمد لله الذي أذل بالشرك كسرى وأعز

بالإسلام سراقة بن مالك، ما الذي دفع الرسول عليه السلام أن يقول ذلك لسراقة؟

إنه التفاؤل بما عند الله وهكذا كان أمل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وهو مطارد من بلده، كان يعتقد أنه سينتصر، وأن دينه سيظهر، وأن الله ناصر عبده، بفضله وكرمه.

غزوة الخندق

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – متفائلاً في جميع أحواله، فيوم اجتمع أعداء الإسلام من كل حدب وصوب لمحاربته في غزوة الخندق، كان الرسول والمسلمون في حالة صعبة، كما وصفهم القرآن الكريم: {**إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا*هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا**}(١).

ومع ذلك كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – متفائلاً بنصر الله، وبشر الصحابة بأن نصر الله آت، فعندما اعترضتهم صخرة صلدة أثناء حفرهم للخندق ضربها بفأسه، وإذ بثلاث شرارات تتطاير، فقال صلى الله عليه وسلم– أبشروا: أما الأولى فقد أضاء الله لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأما الثانية فقد أضاء الله لي منها قصور الروم، وأما الثالثة فقد أضاء الله لي منها قصور صنعاء، فإنَّ الإسلام بالغ ذلك لا محالة.

ما الذي جعل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يبشر أصحابه بذلك؟ والأعداء محيطون به من كل جانب، كما وصفت ذلك الآية السابقة، إنه الأمل والتفاؤل بأن الله مع الذين آمنوا، والذين هم محسنون.

---

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان (١٠-١١)

كما ونجد أن القرآن الكريم يقول: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا *إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [1]، فالعسر جاء معرفا، والمعرفة إذا كررت كانت عين الأولى، واليسر جاء منكراً، والنكرة إذا كررت كانت غير الأولى، فلن يغلب عسر يسرين.

فالمؤمن يجب أن يكون متفائلاً دائماً بفرج الله، كما ورد عن تميم الداري، قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول: (ليبلغن هذا الأمر "يعني أمر الإسلام" ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر)[2].

وكلمة ما بلغ الليل والنهار في هذا الحديث الرائع كلمة جامعة من خصائص البلاغة المحمدية، ولا أرى نظيراً لها في الدلالة على السعة والانتشار.

فعلينا أن نكون متفائلين، وأن نثق بفرج الله، وأن نوكِّل الأمر لصاحب الأمر، فالليل مهما طال فلا بدَّ من بزوغ الفجر، وإن الفجر آتٍ بإذن الله، رغم المشككين، رغم الحاقدين.

الأمل في الله عز وجل

رغم الجراح المؤلمة ورغم الظروف القاسية ورغم ما نراه ونسمعه في هذا العالم من ظلم واستبداد وكيل بمكيالين، وما يتعرض له شعبنا الفلسطيني في نابلس، وجنين وسائر المحافظات من قتل وتشريد، وتدمير، وما يتعرض له المسجد الأقصى المبارك من حفريات وحفر أنفاق لزعزعة أركانه، وتقويض بنيانه من أجل إقامة ما يسمى بهيكلهم المزعوم، إلاّ أن ثقتنا في الله كبيرة، إنّ

---

(١) سورة الشرح، الآيتان(٥-٦)

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١٠٤/٤

ثقتنا في الله عظيمة، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة فيها الخير، وفيها ما يطمئن القلوب ويبعث الأمل في النفوس، بأن المستقبل لهذا الدين إن شاء الله، فالليل مهما طال فلا بد من بزوغ الفجر، وإن الفجر آتٍ بإذن الله.

إن الخير لا يزال باقياً في هذه الأمة إن شاء الله إلى يوم القيامة، لن تهزه عواصف هوجاء ولا رياح عاتية، وستبقى أمتنا قادرة إن شاء الله على تجاوز المحن والشدائد مهما اشتدَّ الظلام، فلا بد من طلوع الفجر، وسوف تتوحَّد الأمة وتقف صفًا واحدًا أمام أعدائها.

ونقف عند البشارة التي قالها – صلى الله عليه وسلم –: "لا تزال طائفةٌ من أمتي على الدينِ ظاهرين لعدوِّهم قاهرين لا يضرُّهم مَنْ خالفهم إلاّ ما أصابَهُم من لأْوَاء حتى يأتيهم أمرُ اللهِ وهم كذلك قالوا: وأين هم؟ قال: ببيتِ المقدسِ وأكنافِ بيتِ المقدس"[1].

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

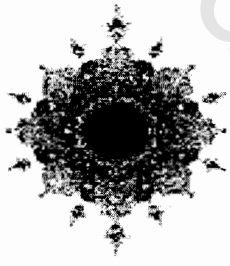

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢٦٩/٥ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٨/٧ .

obeikandl.com